وطبق المؤلف، في هذا الفصل، تعريفه السابق على حركة غوش ايمونيم باعتبارها نواة الاصولية اليهودية المنظمة، حيث رأى ان نجاحها يرجع على علاقة التكافل التي اقامتها مع الليكود، أكبر أحزاب اليمين السياسية في اسرائيل. هذا التزاوج الذي منح الافاً عدة من غلاة المتطرفين القدرة على ان يصبحوا «القلة التي تصنع، اليوم، تاريخ اليهود»، الى حد ان عدداً من المنظّرين ذهبوا الى ان غوش ايمونيم «ساهمت في تشكيل الخلق السياسي والأيديولوجي لجيل كامل».

نشأة الأصولية وتطورها

قدّم الكاتب، في الفصل الثاني «نشوء الأصولية اليهودية من منظور تاريخي»، عرضاً تاريخياً مسهباً امتد، في عمقه الى مرحلة ما قبل دمار الهيكل الثاني والثورات اليهودية ضد روما. وقد سعى الكاتب، من خلال هذا العرض، الى البحث في جذور تاريخية قديمة للحركة الأصولية المعاصرة، وذلك باستحضار الروح اليهودية المسيحانية التي حفزت اليهود في فلسطين على التمرد على الحكم الروماني، ومقاربتها بالروح اليهودية الخلاصية التي تميّز الأصولية اليهودية المعاصرة، والتي تستعجل قدوم المسيح من خلال ممارساتها المتطرفة لاستكمال احتلال فلسطين وطرد بقية الشعب الفلسطيني منها، واستجلاب بقيّة يهود العالم اليها.

امّا الأصول المعاصرة للأصولية اليهودية، فأرجعها المؤلف الى الانتصار السهل والمذهل الذي أحرزه الاسرائيليون في حرب العام ١٩٦٧، وما نجم عنه من سيطرة اليهود على قلب فلسطين الذي يضم مدينة القدس القديمة والخليل، وغيرها من المواقع ذات الأهمية التوراتية، الأمر الذي أجج المشاعر الصهيونية والدينية الرومنطقية، وخلق سابقة تاريخية خطرة، تمثّلت بالتعاون بين المتدينين اليهود وغير المتدينين من أجل انجاز مهمة استكمال السيطرة على كامل الوطن الفلسطيني عبر عمليات الاستيطان المكثّف في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، والدعوة الى التخلّص من الوجود العربي الفلسطيني داخل فلسطين.

وفي الفصل الثالث، «تطور غوش ايمونيم»، شرح الكاتب الظروف التي هيّأت لنمو وتطور، هذه الحركة التي كانت تطمح الى قيادة حركة جماهيرية «لا من أجل تغيير سياسة الدولة حيال الأراضي المحتلة فحسب، بل، أيضاً، من أجل تغيير الأسس الثقافية والايديولوجية التي يقوم المجتمع عليها». ففي أعقاب حرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، وما ولّدته داخل المجتمع الاسرائيلي من احباط وخيبة أمل، انبثقت حركة غوش ايمونيم كتعبير ديني عن موجة عارمة وشاملة من الاستياء عمّت اسرائيل. وكانت نشاطات غوش ايمونيم الاستيطانية الاستعراضية التعبير العملي عن وجود هذه الحركة، ممّا أضفى عليها طابعاً ريادياً داخل اسرائيل، ولفت أنظار القوى الحزبية اليمينية، وخاصة الليكود، الى امكانية الاستفادة منها لدعم سياسته التي تلتقي مع أهداف غوش ايمونيم في ضمّ المناطق المحتلة، من جهة، وفي تدعيم وزنه السياسي في مواجهة حزب «العمل»، من جهة أخرى.

وفي الفصل الرابع، «نظرة الأصولية اليهودية الى العالم: مدى الاجماع»، قدّم لوستيك عرضاً للاطار الفكري العقائدي الذي تتبناه الأصولية اليهودية. ويستحق هذا الفصل شيئاً من الافاضة في عرضه، حيث ينطوي على تحليل لأهم المقولات التي يرتكز عليها التيار الأصولي في اسرائيل، والتي تختلف، وأحياناً تتناقض، مع المقولات الصهيونية التقليدية. فاذا كانت الصهيونية التقليدية ترى ان حياة اليهود قد تشوّهت بسبب حالة الشتات، وان عودتهم الى فلسطين وتأسيس دولة مستقلة لهم سيعيدهم أمة «سويّة» كبقية الأمم، فأن الأصولية اليهودية تقلب هذه المقولة رأساً على عقب، فترى ان اليهود ليسوا شعباً سويّاً، ولا يمكن ان يكونوا كذلك. قال هارولد فيش، أحد زعماء غوش ايمونيم: «ان فكرة ان الأمة اليهودية أمّة سوية، وانه ينبغي على المجتمع الدولي ان يعاملها من حيث هي كذلك... هي الوهم الأصلي الذي توهّمته الصهيونية العلمانية». ويترتب على هذه المقولة، في نظر الأصوليين اليهود، أن الله وان ألزم الامم السويّة بطاعة قوانين العدل والاستقامة، فان هذه القوانين المجرّدة لا تلزم اليهود».